



روائع الأعمال الشعرية

محمد عفيفي مطر

المدرسة
الجديدة

مكتبة الأسرة ١٠ سنوات

بورتريه بريشة
الفنان محمد حجي

الأعمال الشعرية

محمد عفيفى مطر

(أعمال مختارة)

إعـــداد وتقـــديم

أحــمــد ســويلم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الشعرية)

محمد عفيفى مطر

(أعمال مختارة)

الغلاف والإشراف الفنى:
للفنان: محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد

المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ: هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «**مكتبة الأسرة**» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح،.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمحت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعمية**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**» وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

هـذا الشاعـر

* ينتمى هذا الشاعر إلى طليعة جيل الستينيات فى مصر..

ولد الشاعر محمد عفيفى مطر فى رملة الأنجب محافظة المنوفية فى عام ١٩٣٥م.

* دخل المدارس وحصل على دبلوم المعلمين العليا.. وليسانس الآداب قسم الفلسفة من جامعة عين شمس.

* عمل مدرساً بوزارة التربية والتعليم.. ثم سافر إلى العراق فترة طويلة.. عاد بعدها إلى مصر متفرغاً لإبداع الشعر والمشاركة فى الحياة الثقافية.

* عمل الشاعر رئيساً لتحرير مجلة «سنابل» ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ ومحررًا بمجلة «أقلام» العراقية ١٩٧٧ ـ ١٩٨٣.

* شارك فى عدد كبير من المؤتمرات والمهرجانات العربية والعالمية.. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر عام ١٩٨٩م.

* أصدر عددًا كبيرًا من دواوين الشعر منها :

- مكابدات الصوت الأولى.
- من دفتر الصمت.
- ملامح الوجه الأنبادوقليسى.
- رسوم على قشرة الليل.
- كتاب الأرض والدم.
- الجوع والقمر.
- شهادة البكاء فى زمن الضحك.
- النهر يلبس الأقنعة.
- يتحدث الصمت.
- أنت واحدها وهى أعضاؤك انتثرت.
- رباعية الفرح.

* وله مؤلفات نقدية منها: «مرآة الأسلاف».

وقد اتجه فى الفترة الأخيرة إلى الإبداع فى مجال الأطفال.

وعفيفى مطر من الأصوات الأصيلة الراسخة ليس فقط فى الساحة المصرية وإنما فى المنطقة العربية جميعها.

ويؤكد الشاعر فى إبداعه الشعرى الأصالة والعمق والثقافة الواسعة.. ولهذا فإن مشروعه الشعرى يعد بحق إضافة متميزة فى ساحة الشعر العربى.

ونحن اليوم نقدم له ديوانه (أنت واحدها؛ وهى أعضاؤك انتثرت).

جرأة إهداء:

إلى محمد

سيد الأوجه الطالعة
وراية الطلائع من كل جنس
منفرط على أكمامه كل دمع
ومفتوحة ممالكه للجائعين
وإيقاع نعليه كلام الحياة في
جسد العالم

م.ع.م

موتٌ ما..
لوقتٍ ما..

أعلنتُ ميثاق الإقامةِ بالرحيل

وتركتُ وقْعَ خطايَ في سرِّ الشجر

واساقطتْ ما بين عيني والبلاد

زمرداتٌ من حجر

فعرفتُ طعمَ الخبز مرتجفًا، وقلتُ،

وقال لي الموتى، أطلتُ، استألفوني

بالتذكر، وارتمى عني الرداءُ،

الأرضُ رَوَّتني،

وبلَّلت الرمالُ السافياتُ بريقَ عينيَّ

المحدقتين في حَجَرِ الظلامْ.

كفٌّ تراختْ، والأصابعُ تفتح الينبوعَ،

تنْبجسُ السّحالي والثعابين،

الضّبابُ تجيش من حولي أمانًا ناعمًا..
لم يبق لي غيرُ الكلامْ
معها وجذرِ النخل والطلع المكتَّمِ في
مساربه العميقةِ،
ليس لي إلا سويعاتٌ من النوم السخيِّ
أمرُّ فيه علي البلاد وأستعيدُ الشمسَ
والرعيَ الطليق،
أكلِّمُ الموتى وأسمع ما تُزَمزِمهُ العظامْ
وأشدُّ فيهم ما عقدتُ من العُرَى..

في حضرة الليل استفاضَتْ وقفةُ الإشهاد،
في فصل الخطاب استودَعَتني سرَّها الروّاغَ
واستودعتُها نومي سويعاتٍ

اقومُ، أكلمُ الموتي

وأنظر ما تصاهَرَ من دمٍ تتقلّب الأنسابُ

فيه بصبوةِ العشق المبرِّحِ،

أنظر الأكفانَ والعظمَ الرميمَ توشّجَتْ

منه القبيلةُ

اشهد الأمشاجَ أعراقًا وألويةً تذَاوَبُ

والصنوجُ تدق بالصدأ الكظيمْ.

هذا زواجُ الأرض بالموتى:

مسيلُ اللحمِ عن أغصانِ هيكله،

انفراطُ أجنَّةٍ معجونةِ الأسماء بالزَّرَدِ المفتَّتِ

والهشيمِ الهشِّ من صُلب الدروعِ

سنابكِ الخيل الصديئةِ.

قلتُ أمشي في عروق الأرض أشهدُ ساحةَ
البدْءِ المجلْجلِ والختامْ
كيف استتمَّتْ نارَها ورمادَها في
الخطوة الأولى، وكيف انشقَّ من مُهْلِ الغَمامْ
برقٌ من الدمْ فاستضاءتْ تحته
الأطلالُ والأجداثُ،
لا يومُ النشورْ
يأتي، ولا يَدْوي على الوديان صُورْ
فاستَغْرقتني بالهواجس هَجْعةُ القيلولةِ السوداءِ:
يا أمشاجَ ما في الأرض..
لا مُهلُ الغمامْ
يَنْقضُّ بالسُّقيا،

ولا محراثُه الناريُّ يفتح في شقوق
الرَّغْوِ منك أهلةَ التكوين أو ماءَ السلالاتِ.

البلاغُ اسْتَغْلَقتْ نيرانُه؟!
واسترْجَعَتْ قَدْحَ المغيراتِ الصخورْ؟!
هذا رغيفُ العهد معقودًا على صَعْب النّواصي؟!
أم هو الموتُ استفاضَتْ رغْوةُ
الإشْهادِ فيه بالكلامْ؟!

الشمسُ في حِجْرِ الظلام
مخبوءةُ النيران تحت هياكل الأنْصاب والأزْلامِ،
هل ذهبُ العبيدِ مكدَّسٌ فيها؟!
وهل وَمْضُ اللآلئ ـ من عيون الميتين ـ
من مائها المسجونِ؟!

أم وجهُ البلاد زمرداتٌ من حجر
يسقطن من عينيَّ ما بين الخليقةِ والكلامِ؟!

هذي سويعاتٌ من النوم السخيِّ:
أذيبُ أعضائي بصمت جلالها المكتوبِ؟
اقرأ ما تجلّى من دمي في سرِّها الروّاغ بين
عُلُوِّه في المدِّ أنسابًا وفيضًا من سلالاتِ أنا
بدءُ البداية في أبُوَّتِها،
وبين الوعدِ بالميقات في أمشاج ما في الأرضِ.

هذي من نَواشي ظلمة الدَّهرِ.
الكلامُ
قولٌ ثقيلُ الوطءِ، ساعاتٌ من النوم البطيء
يمر بالقيلولة السوداء..

أسْكُنُه وانظرُ:

بين عينيَّ السمواتُ العُلى مسكوبةٌ،

ما بين كفَّيَّ الظلامُ حجارةٌ تتقادَحُ الأوقاتُ فيها،

الأرضُ روَّتني وبلّلت الرمالُ السافياتُ بريقَ

عينيَّ المحدقتين في شمس التذكرِ،

أسمع الموتى، أكلمهم،

وأخرج في سهوب النوم:

عرشي قائمُ الأوتادِ في صمت البوادي والخليقة.

شمسُ التذكر في سُهوبِ النوم داميةُ النزيف

والريحُ تعلو في قباب الدهرِ والأعماقِ

سافيةً فسافيةً

وغيمٌ ينطوي من بعد غيم،

يمرُقُ البرقُ الأليفْ

لا شيء إلا خيطُ أكفاني فأُسْلِكُهُ به

ليطير في الريح الطليقة..

١٩٨٠/٦/١٥

مَدخلٌ في بكاء السلالات

١٩٧٨

تائهٌ ليس تائهًا

لغةٌ ليس لي أو لكَ الآن أن نستعيدَ
اندفاقاتها بين موت الغزالة والسهمِ،
ليستْ لنا لحظةٌ للكمون المفاجئ في العشب حتى
تمرَّ الغزالاتُ..
ها نحن جئنا وقد فاتنا الوقتُ
فاسمعْ صدى القوس ترسمه في الفراغ
الأساورُ والوردُ:
ساقٌ من اللبن المتفجر عن ناره ارتفعتْ
بين موطئ أقدامنا والشموس المقيمةِ في الأوجِ
(والوقتُ كان الظهيرة)
فاسمعْ:
دفٌّ له زغبٌ، والمسافةُ بينهما فروةٌ

للنعاس وللأهلِ (من خلفٍ سلفٌ)
في البدايات نارُ الخواتيم، فاسمعْ:
لنا لغةٌ للتذكر.. فانظُرْهُ طميًا شوتَهُ
احتجاجاتُنا، البيتُ تهوي إليه وتأوي
القوافلُ والسابلة/
وليس دمًا أو بلادًا.. بل المرأةُ استسلمتْ
للبخور الترابيِّ والماءِ. واستسلمتْ للنخيل وللقابلة/
فهل كنتَ تعرف أن مشاعلَك اتّقدَتْ في الظلام
الرخاميّ،
والرقصُ يأتي يزاوج بين الطبول وورد الخلاخيلِ
والشَّعر والقوسِ واللحظةِ الفاصلة/
فأعرف أني ذكورةُ عشق البداوةِ

أنكِ نارٌ وماءٌ وخيمةُ شعْرٍ
وأنيَ أفقٌ من النخل والطير،
أن المياه تُنَقِّلُ خطوتَها في السرابِ
السرابَ ينقّلُ خطوتَه في المياهِ
المسافاتِ معجونةٌ بالقرابين
والأرضَ وردُ الدّهانْ!!
فأيّانَ - أين استقامتْ لكَ الخطوةُ المثقلة/
بمشْتَبكٍ من تنافي الأحاديثِ!!
هل تقتفي خطوة امرأةٍ غمزتْ برشاقتها
وبحنّائها موجة البحر وانتظرتْ بُرْءَها
من تشكّي الولاداتِ والعشقِ!!

ها أنتَ يا ابن النسور القديمةِ

يا ان معلَّقة الشعراء ويا ابن الحواميم:
هذا القليبُ البَرُودُ يُؤاخيك،
ينفضُّ عنكَ رفاقُكَ لا أنتَ منهم ولا همّ.
تَقَلَّبتُ بين الجهات:
السمواتُ أرسلْنَ لي شمسهن المضيئةَ
بالفتح، والأرضُ تطوي صحائفَ اسلافِها
وأنا أوَّلُ الوارثين وآخرُهُمْ.
يا نساءَ المدينة فلتحتملْن وجوهي الكثيرةَ أقنعتي
وانقسامات قلبي عليكنّ
أنتن آخرُ حربٍ وآخرُ أرغفةٍ يتقاسمها
أصدقائي الألدّاءُ
والأرضُ بيني وبين الجماعة:

لا الأرضُ تبقي ذَلولاً مِهادًا

ولا الشِّعر يبقي دمًا ومياهًا تَقَاطَعُ،

بل فضةٌ ودمٌ لستَ تدري بأيهما اكتملَ

الأفقُ وابتدأ الطيرانُ،

بأيهما يبدأ القتلُ

أو تبدأ الأسئلة..

جسدان . . وثالثهما

خَشَبٌ يكشفُ وقتَ الشمس والماءِ،

ونهدان استْفاقا،

زمنُ السبي بعيدٌ، وقتُ عشاقكِ

في الليل بعيدٌ، هل ترينْ المخمل الصوفيّ والنقشَ:

بلادٌ حمرةٌ ساطعةٌ، خضرةُ

نخلٍ ونساءٍ يتعرّيْن، طواويسُ دمٍ،

شمسُ دنانير تَقاطرْن، السمواتُ

تَهَدُّ مْن استدارات على السرة والأكتافِ،

ليلٌ طالعٌ في العشب والحلْفاء،

والشهقةُ كانت حجر الشاهد كانتْ حَجَرَ التّقْدمةِ

الليلُ استثاراتٌ تَشَظّين من الشفرةِ،

زهوُ القتلة/

واغتصابٌ للسلالات، وهذا كفنٌ ألويةً

تنشره الريحُ..

ونهدان استفاقا:

(كنا متقابلين تقابُلَ الخيمةِ والعراءِ..

وبيننا سهيل

ومتقابلين تقابلَ النَّيريْنِ وبيننا القراءاتُ السبعُ

وحجرُ الفلاسفة

وكنا رجلاً وامرأةً..

وبيننا لغةُ النبوة وقرابةُ الصعاليكِ

بيننا نصلٌ وبرقٌ خُلَسٌ يكشف بيتَ الأهل

والهودَجَ في آخر أرضِ الله.

بيتٌ في أواذيِّ البحارِ السبع جمرٌ ثاقبٌ وهَجُ

عُقابٍ من حرير الدم يعلو..
بيننا منَ حجر البيت الأموميِّ شظايا قُبَل راعفةٍ
بالرملِ سوسِ الخشب الداثِرِ آسنانِ التعاشيقِ
الزجاجيةِ.
بيتٌ قبلةٌ هائمةٌ بين فضاءَين من الدمع،
ونهدان استفاقا بغْتَة الحلمِ وأفْلَتُّهما،
الأرضُ مدّي من شجر النقشِ وسجادٌ من
الصوف التراثيِّ
خيولٌ وصهيلٌ غابرٌ منكتمٌ في وبر المخْملِ،
كنا رجلاً وامرأةً..
كانتْ شراراتُ دمٍ يقطُرُ من مرْتكَزِ المهمازِ تغدو
لُحمّةً بين سروجِ الخيل والبادية الناصلة.

النخلُ تدلَّى في فراغ باهتِ الزرقةِ، عشبٌ،
وغزالاتٌ تسايَلْنَ فرارًا
والسهامُ انكسرتْ في الأفْق.
كنا رجلاً وامرأةً نشْخَص للظلمة والريحِ،
سهيلٌ يتدلَّى من بروج الإرث والذاكرةِ،
الليلُ بلادٌ طللٌ يسكنُ أصداءَ القوافي،
واشْرَأَبَّتْ من وميض الحجر الحيِّ وجوهٌ
أقفرتْ منها المسافاتُ
وكنا رجلاً وامرأةً من حجر الصرخةِ،
كانت قامتانا هيكلَ البهو الذي يرقد في
ذاكرة الوشْمِ الخرابْ
والدمُ النازفُ من مرتكز المهماز ميثاقَ
الينابيعِ وبدءَ العَتَبَةَ..

لا الرابيةُ ولا النجم

الغزالاتُ للعشق أم للرّدي يتوالدْنَ؟!

للصيد واحدةٌ:

كانت الشمسُ قطرةَ ماءٍ يُبارِحُ

مكْمَنه الجسديَّ، شموسٌ تحدَّرْن فوق

رشاقتها المستخفّة بالصحراء وبالوحشِ

كانت مسافاتُ رقصتها بين عنف الترقُّبِ والسهمِ،

بين ملوك القبيلة والخندق المتباعدِ،

بين القدور ورائحة اللحم والريح.

للعشق واحدةٌ:

أرأيتَ التفافَ العباءةِ!!

تبغٌ وجوعٌ يصاوله، الكحلُ واللهبُ المتوقِّدُ

تحت النطاقين يبْتَدِران القراءةَ

والشاعرُ افْتَعَدَ الأرضَ وهْيَ علي
هودج خشبٍ يكشفُ الشمسَ والماءَ عن
برعمِ موجةٍ، وهي تنصتُ،
ترمي الستائرُ وردًا من الظل والنور فوق
الحوائط، والأرضُ مُشْتَبَكٌ من غصون
الدوائرِ والورقِ الزخرفيِّ،
اشْتباكٌ من الشجر المتوهِّمِ يستألفُ الطيرَ،
هَرْجَ الغزالات، أحصنة الرَّجَزِ،
العريَ تحت السماء الوسيعةِ.

جَمْرٌ ومسٌ دم يتخبَّط والصلَّيانُ حريرٌ من الهذيان،
تشقَّقَ طميُ التذكرِ وانْدَلعتْ تحت أجنحة
الجنِّ والجوع كَرْمٌ من القُبَلِ العنبيَّة،

أرضٌ تَفَجَّرُ عن شجر الإشتهاء،

الغزالةُ مدَّتْ لُجمَّيْزَةِ المتقارب والرجفةِ النثرِ

كفٌّ الندي ملْمسَ الطل والغيمِ

«هل أنتِ لي من قديم؟»

مزازةُ فاكهةٍ من قطاف البواكيرِ،

شَفٌّ، مناديلُ تُلٌّ،

حريرٌ تَزَالقُ من فوقه الشمسُ والنمنماتُ

ولكنني حجرٌ شعلةً

من بروج القصيدة يهوي

إلي الماء..

سلالة

الطواويسُ، والريشةُ الذهبيَّةُ تلمع في
شمس عاصفةٍ تتقلّب بين هدوء من الصحو
والغابة المظلمة/
معًى الماعز الجبليّ المرنَّةُ في القوس،
نسرُ السموات، والذهبُ المطرُ، العنبرُ
المتورّد بالدهشة اشتعلتْ فوق صفحته
النارُ من شررٍ ونبالٍ وريشُ الصقور..
ولكنَّ أرضًا تراجَعُ في ضيقها المستمرّْ
استمرتْ تراجَعُ:
قد أحدقَ الغرباءُ بها
سقطتْ من قبور القبيلة أغصانُ شاهدة،
ورماحُ القرابات، شَحَّتْ نذورٌ وأدعيةٌ،

غَرُبَتْ لغةُ الوشم واسّاقطتْ في ذبولِ

الطواطم أغنيةُ الريح بين السهول

الوسيعةِ والأقرباءِ،

التمائم تُفْضَحهُنَّ المقاديرُ والغابةُ انفرطتْ

ورقًا ليس منعقدًا،

ونحاسُ الرشاقة والعوْمِ في الماءِ والطين يهجرُ

أَلوانَه وليالي الزفاف القديمة.

وأنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ

لم يستقمْ لي بكائي

فهم أكثرونَ:

شتاءٌ تكاشفُه الشمسُ فالنمل يسعى،

الضحى كان صحوًا، ويملأ وجّهَ ممالكه القشُّ

والسَّقَطُ المتجمّع من كِسرٍ وطحينٍ من الصخر
والقمحِ،
أنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ
لم يستقمْ لي بكائي
فقد غَادروكَ إلي الموت أو غادروك إلي
الذَّوَبَان بلحم الخليقة:
عريٌ بدا بدْعةً، ونحاسٌ هو
الشهوةُ المستفزَّة، ريشُ الصقور
استوى في القطيفة والنمنمات الحريريةِ
اللونَ والملمسَ المحضَ
أنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ.. فابْكِ كما شئتَ،

لكنني أستَميحُ دمي دمعةً لا تبادِرُ:

هم أكثرون، البلادُ بهم تستفيضُ،
فلا الشجرُ الرَّطْبُ يبري الرماحَ،
وليستْ معَى الماعزِ الجبليِّ نذورًا مقدرةً للقِسِيِّ
وأعوادِ نبْعِ القبيلةِ.
فابك كما شئتَ..
لكنني أتلفَّتُ.. هم أكثرونَ،
أعِرْقٌ همو أم طفاوَةُ زهْوٍ ورغْوٍ من
المجد تهوي السُلالاتُ فيه؟!
وأنْظُرهُم:
أوجهٌ هضمتْها المخاوفُ،
والنسوةُ اكتنزت تحت أردانهن الطلائقَ،

خيلٌ مَطَهَّمَةٌ:

ليس ماءَ السلالات، ليس

الدمَ المحضَ أعني،

ولكنني تاركٌ لدمي فسحةً من فضاءٍ لينهمر الدمعُ

فابْكِ كما شئتَ..

إن بكائي يجيء

زجر الطير*

صَحَتْ من غاشية الإشراق وجلالِ النومِ الحيّ
فمن تذكرٍ شظايا النار الباردةِ وعروقِ
الماء المتوهج وملاسة النجوم المنطفئةِ إذْ
تزدهرُ ألوانُها
هي الزَّجْرَجَةُ على ماء المعرفة
ويقظةُ الطفوِ على جَرَيان الأحداثِ وعلم النسيان
ينقشع السَّديمُ وتنحسرُ أمواجُ الذاكرةِ الملكيةِ
وهي تطفو جسداً لخميرة الخلائق
تنكمشُ الصاعقةُ وتمور وتعلو الجبالُ العاليةُ
وينبسط ما دونها
بين المهادِ والرّواسي - يتغوَّر البحرُ وينفجرُ
نهرٌ هنا ونهرٌ هناك

---

* بالقصيدة إشارات وأصداء من ابن عربي.

يلين الحجرُ بالعيون أو تنتشر عشوائيةُ الهاجرةِ

بالرمل أو الغيوم الثقيلة

فلما أخذتْ زينتَها الأولى واتَّزَرَتْ بأبَّهة

الذبول وجلال الذهب

واستسلمتْ بين أيدينا لغيبوبة الأطراف

وحيرةِ التلفّت في الأفق

نزلنا إلى وادٍ ذي زرع ونهر

فوجدنا قبرًا محفورًا وماءً مسكوبًا وكفنًا

وحنوطًا ومسكًا أذْفَرَ

وأميرُها في كامل شكَّته ممسكٌ بصولجان موته

تسرح العناكبُ ودابَّةُ الأرض بين غُضُونِهِ

وبهاءِ التاج

فركزْنا رماحَنا وطوينّا الأعلام
وتَنَظَّرنا إلي يوم الفصل ميقاتِنا أجمعين
فلما كانت أشراطُ القيامة الثانية
قال بعضنا لبعض:

لو نزلنا فوجدنا القبر والموتى!

فإذا لا قبر ولا أثر.
وبدأ الشاعرُ يزجرُ الطيرَ ويتلو صَدْحَةَ المطر
يتقلّب في الآفاق ويسيح في الأرض
ونسرُ الفضاءِ الشاسع يهمُّ بالطيران في
غموض الزرقة وكثافة الليل المثقّبِ بالمصابيح
فتُثقِله قتامةُ الزنك وبرودةُ القصدير اللانهائي
والشاعرُ يستجلي حمأ الصرخة المضيئة ومقام

القصيدة بين الماء والطين

يحدِّق في أعلام ملكوتِه وانتماءات دمه
يخلع عنه الرَّهَبوتَ والطَّمعوتَ. . إلخ
ويشاكسُ جبروتَ السيف بصدره العاري
ويُجالِدُ القبائلَ بالقصيدة

ويدخل المدن:
أوْجُهٌ ليستْ سوى ما يتركُ الذعرُ من الغفْوة،
همسٌ يتمطى بين قوسين من التهمة والكِبْرِ
الدفاعيِّ، فُواقٌ من نشيج إعتراضيٌّ،
حوارَ لافحٌ من ثُؤبَاء السيِّرِ ما بين نعاسين،
وجوهٌ يتقرَّا طينَها أو نارَها الرملية
الشاعرُ..

يستجلي الوراثاتِ وأشجارَ السلات من

الطين إلى شاهدةِ القبر.

وجوهٌ سُبِكَتْ من معدن الأصفاد..

أفواهٌ لها شكلُ القيود، القبلةُ القُفْلُ،

رماديٌّ العيون الصدأ السائل من نافذة

السجن، المواويلُ خطىً في باحةِ الجوع،

الصليلُ البهوُ، والأعمدةُ النهرُ الرخاميُّ،

وموجُ البحرِ إيقاعُ المراثي.

انتبه الشاعرُ:

للمأتم طقسٌ ومراسيمُ بكاءٍ عائليّ،

هذه رائحةُ الموت، وهذان هما السيدُ والسيدةُ

انسلاّ من القبر، وقاما، انتشرا،

واستوّطنا بيتًا من الريح،

ومن تحتهما تسَّايَلُ الأنهرُ.

أفقٌ من ذبولٍ، وجلالُ الملأ الموحشِ،

عُثّونُ الخماسين، بهاءُ العنكبوت الذهبيِّ،

انتشرا واستوّطنا بيتًا من الريح،

الرقابُ انكسرتْ تحت التوابيت

وللمأتم طقسٌ ومراسيمُ بكاءٍ عائليٍّ..

يصرخ الشاعرُ:

أيها السيدُ المحمولُ علي الرقاب

وفوق الرءوس المنكَّسَة

أيتها السيدةُ المثقلةُ بأبّهة الذبولِ

وجلال الذهب

انتشِرا وتناسلا واملأ الوادي

بسلالة الموت

هذا يومُ الفصل ميقاتُنا أجمعين

١٩٧٨/٤/١٧

امرأة تلبس الأخضَرَ دائمًا
ورجلٌ يلبس الأخضرَ أحيانًا

لعشّاقها ملكوتٌ من اللون:

لونٌ هو الخضرةُ الغامضة

لأوّلِ حلفٍ مع الله إذ هم يقيمون في

هاجس الطين - في حمأ يتملَّكُ عمق الفضاء

وماءَ الينابيع والأرضُ يومئذٍ من رعيةِ

أحلامِه وانتظار المليءِ بأسمائه -،

وهو لونٌ من الخضرة الغامضة.

.

يقول: ابتدأنا،

وحولهما من خطوط المحاريث في الأرض،

والطميُ شهوةُ ماء مفَتَّتةٌ في سخونته الرحميَّةِ

يَنْغُلُ خلقٌ من الدَّبق الحيِّ،

تلتفُّ همهمةٌ من خشاشٍ رميمٍ تدبُّ به

الروحُ، والغُلْمةُ المستفيضةُ بين اليرابيعِ
والخنفُسِ المتفحِّمِ والعلَقِ الرَّطْبِ،
يعلو صريرُ الجنادبِ،
كانا ضجيعيّ دمٍ يَتَنَزَّزُ من أول
الدهر أحوالَه،
تتشظَّي سنابلُه، والسماءُ تَخَلَّلُ نسْجَ العساليجِ،
تهوي نقوشًا مطرَّزة.

وتقول: احتملْ من ملائي نصيبكَ،
وليفتح الله بالعشق، والخضرة الغامضة.

هي الأحوالُ ومقاماتُ العذابِ، محنةٌ يغلي
دمُ القلب بها وتحترق اليد،
فالجراحاتُ يتفتَّحْن قطوفًا دانيةً من مواهب النعمة

وأعطياتِ الإرادة الطيبة والانتظار السمْح الرحيم

والموتُ صديقٌ تتقادَمُ بيني وبينه المواعيدُ تشتدُّ

وشيجةُ الملاعبة وخيوطُ المرح المشاكسِ

ومغاضباتُ الضحك

يرسل المطر تواقيعَ علي زجاج النافذة كي أنْتَبِه

أبتسمُ .. فإني أعرف خطوته في ريح الليل

وفحمة الظلمة،

وأتوقَّعُه زائرًا كلما امتلأتْ قطوفُ المحنة بالعطايا

وثَقُلَ علي القلب الفرح

أفتح النافذة ليحلَّ ضيفَ سهرٍ علي طعامٍ وشرابٍ

كلما نقصا فاضا

يجلسُ قبالتي وأنادمُه بذكْرِ حصاده ومعني الشمس والنهر .

«كلما مات منا سيدٌ قام سيدٌ»
أضدادٌ في اللغة أم لغةٌ في الأضداد!
وأنت واهبُ المعنى الجارفِ ومفتِّقُ الأكمام
تشارك في كل حُضور
وتقتسم الصمتَ والكلامَ علي كل شفة
تقبض بيدك علي زمام الفوضي فتتشكَّل القوالبُ
وتفتح أبوابَ القوالب فتفيض الحياة
لك مُزدَهرُ الدَّوام ومجدُ الينابيع
ولي مجدُ الظل وبطولةُ البحث عن زاوية السقوط
ولحظة الزوَّال.
يقلِّبني بين كفَّيكِ مارجُ عشق وصبوةُ نار تُزمزِمُ،
ينفرط اسمي شظايا حليٍّ مبعثرةً تتنمنمُ من

ذهبٍ وشموس مكسَّرةٍ تتهاوى فتُمسكها في
سلاسلها رعدةٌ الخوف، تلتمُّ ما بين نهديْكِ،
واسمي المكدَّسُ بين السلاسل والجسد
المتفصِّد بالعنبر الحيِّ يخطف وجهي،
ويطحنه ثم ينثره في الشظايا
فمنْ يفتديني وقد كوَّمتْني سلاسلُها،
من يخلِّص أسماءَ وجهي وينثرها حرةً كشموس
الينابيع في العنبر الحيِّ أو كالطيور الشريدة في
العشب والخضرة الغامضة!
مددتُ يدي.. لن يبعثرني في تضاريسها غيرُ كفِّي
وغيرُ انفراطي دمًا تحت حنّائها واحتشادي طيورًا
مهاجرةً بين أحراشها ومعشِّشَةً في حواسٍّ

الدم الخمس عاليةً في القباب وهاجعة في
الزوايا المضيئةِ بالخضرة العامضة.

مددتُ يدي.. وابتدأتُ منادَمةً تجدّلُ الدمَ والماءَ
بين العروق المليئةِ باللبن الحيِّ
ـ: بيني وبينكِ فيضٌ وجوهٍ مقنّعةٍ تتصاول تحت
اغترابات أسمائنا كي تجيءَ
ـ: وبيني وبين وجوهكَ هذي السلاسلُ، فانظرْ
لنفسكَ، لو كان مالم يكنْ لانتهينا إلي البحر
واشتبكتْ من خطانا البداياتُ
ـ: لو كان ما لم يكن لاستفاضَتْ بنا فَورةُ البحر:
أنتِ الكهوفُ العميقةُ والطينُ والخضرةُ الغامضة
ومن جسدي يبدأ الخلقُ، من جسدي يتقشّرِ كِلّسُ

السراطين تلتفُّ تحت الزخام القواقعُ، من
شهقتي سمكٌ تتفجر ألوانُه
وقصائدُ من صَدفِ النارِ والفضةِ
ـ: انظرْ لنفسكَ.. بيني وبين وجوهك هذي
السلاسلُ، والأرضُ بيني وبينكَ مهرةُ رملٍ
وصرخةُ ماءٍ تجاوَبُ في الليل والريحِ..
فانظرْ لنفسكَ
ـ: يا امرأة الخضرةِ الغامضة
تكتبينني علي التراب فتبعثره الريحُ، واكتبُ الترابَ
عليكِ وأدفنُ نفسيَ فيه حضارة عشقٍ مطمورةً
تنتظر الحفّارين وتنتظر ميقاتَ الانكشافِ
للشمس والريح وقراءةِ البشر

أتدلَّى اسمًا منقوشًا متكررًا تلاعبه زهرتا

العسلِ على النهدين

وبين بعثرة الريح ورقص الرضاعة ولدٌ يصرخ

صرخةَ المجيء الموجلً أو المجيء المستحيلِ أو

المجيء المحتَّمِ.. لا فرق

فَعقِّلي عليَّ أنتِ

ـ: «هناك أحلامٌ الرقودُ أولى بها»

ـ: وهناك يقظةٌ النومُ أولى بها

وهناك حضورُ العينيِّ والوهمُ أولى به

وهناك مستحيلٌ الدمُ أولى به

وهناك جنونٌ نحن أولى به

فخذي مما تشائين لما تشائين

ولتكنْ مشيئةً واحدةً تعقدُها ملامسةُ

الأصابع أو وشيجةُ الدمعِ المطْمئن

تَقسَّمك العشّاق وأنتِ واحدةٌ

أمْ أنتِ العشقُ لكلٍّ منه ما يستطيعُ من

رزْقٍ وما يَقدِرُ من احتمال!!

تَعدَّدت الأحوالُ والطريقُ واحدٌ

وتكسَّرت الديمومةُ مواقفَ والقطيعةُ

واحدةٌ وحصارُ السُّوى غَلوب.

فهل نحن أضدادٌ في اللغة أم لغةٌ في الأضداد!

وهل نحن المجازُ العلاقةُ أم نحن اكتمالُ

العلاقة في المجاز والسرُّ بيننا غرغرةُ الشهادة!!

همو ضربوا موعدًا وضربنا لهم موعدًا

وهو الخضرةُ الغامضة

تشكَّيت من وجع الطلْق أم مطرٌ جارحٌ

يتخدَّد وجْهَكِ!!

هذا توقُّدُ وجهكِ بين الضلوعِ

وهم عبروا واحدًا واحدًا وأنا آخرُ العاشقين

وهذا رغيفُ المواثيق بيني وبينكِ

والعهدُ:

هذا البلاءُ الثقيلُ

وهذا البكاءُ البديلْ

وأرضُ البلاد التي نسجتْني خطيٌ من دمٍ،

والجيوشُ الغريبةُ تبرُقُ أحداقُها في

المخادع والليلُ ينْسِلُ خيطَ التذكر في الصحو

والنومِ..

فالأفقُ من قَلَفِ الشجر المتشقِّقِ في الدمع، وجهي
عجينُ الملايين من أمهات القري..
أتخمَّرُ في الحلم.. ما من يدٍ أتكسَّرُ فيها
وأفتح رائحةَ الخبز غير يمينكِ
يا امرأة الخضرة الغامضة
وكلُّ دمٍ آيةٌ،
جسدٌ عنبرٌ وأقاليمُ ماء، وطفلٌ عصيُّ الولادةِ
يكتب أسماءَه بين حِجْري وحِجْرِكِ،
والأرض ناقةُ هَوْدَجنا المستحيلْ
وطائفُ برقٍ يكلمني وأكلِّمُ وَقْدتَه
وانفراطُكِ بين يديَّ الدليلْ
وقد ضربوا موعدًا وضربنا لهم موعدا..

للتُّخوم خُطاها .. تضيق وتتَّسعُ الأرضُ،

هَرْوَلةٌ للأقاليم يمتلئُ الحلم فيها بما يشتهي

مرةٌ ملكوتٌ

وأخرى سديمٌ يُناوِشُه العصْفُ

والليلُ ينْسلُ خيط التذكر، تَتْحلُّ مني العُرى،

الفجرُ ينسجُه عنكبوتُ الترقُّبِ..

لا أصدقاءَ يجيئون،

صوتُ الخطي أتعرَّف فيه علي صاحبي الموت أو

عسْس الظلمات وهمهمة المخبرين وراءَ النوافذِ،

نارُ القبيلة في القلب.. تَعلو فيأوي إليَّ من

الوحش أنسٌ أنيسٌ وتأوي القوافي

ويَزّاوجُ الطيرُ ، من مُحكم الآي تعلو التراتيلُ ينبجس

الماءُ والدمع، رائحةُ الخبز تصعد من جسدي..
أتكسَّر بين قِصاع الثَّريدِ
وأنْحلُّ في الخضرة الغامضة
وهم ضربوا موعدًا وضربنا لهم موعدا..

ـ: ولكَ الوقتُ .. فابدأ زواجَ العشيرة بالطقس
ولتحتملْ من ملائي نصيبَكَ ولأحْتَملْ من بلائكَ
خذ من صوانيَ أحزمةً للرصاص، خرائطَ للوقت
قائمةَ الحركيين، أوسمةَ الخضرة الغامضة
لكَ الوقتُ.. فابدأ زمان القبيلة..
ـ: هل عقدتْ بين أعضائنا رجفةُ العهد؟
هل مَوْثِقٌ أفتديه وهل موثِقٌ يفتديني؟
ـ: استمعْ.. إنهم في الشوارعِ.. فاخرجْ

ـ: وهل يتَبجَّسُ وجهيَ من بين نهديكِ، تلتمُّ
من نمنمات الشظايا ورقصِ السلاسلِ أربعةُ الأحرفِ؟
ـ: اخرجْ

هو الليل.. صَحْوُ الإرادات في الكون، سجّادةٌ
يتنفس فيها اشتباكُ الخطوطُ مشاجرةُ اللون في
اللون.. كان الرصاصُ يُشجِّرهُ بالزخارف
والأرضُ تنبضُ مخلوعةً في الإضاءات
وهي مؤرَّقةُ الخضرةِ الغامضة
تُهاجسُها الخطواتُ، تصادَي النداءاتُ،
تَستَرق السمعَ.. أيُّ دم يستغيثُ
وأيُّ دمٍ يستفيضُ وأيُّ اختداعٍ حبائلُه
انعقدتْ عقدة الصيدِ!!

تسترق السمعَ.. أيٌّ صراخٍ يُمسِّحُ أطرافَه الهالكات
علي جُدُرِ الدورِ!!
والأرضُ تعلو وتسقط بين الإضاءات
والنارُ تأكل أطرافَها وهي تنصتُ..
«نقرٌ خفيفٌ على الباب»
ـ: مَنْ؟!
كلُّ شيء يعودُ إلي حاله... وأنا قدْ تكلَّفتُ حَمْلَ
وَصيتَّه وأماناتِه
ـ: لا أصدقُ
ـ: هذي ملابسه ثَقَّبتْها الرصاصاتُ وانتشرتْ
فوق خضرتها بقع الدم، أحزمةُ الجلد،
أوسمةٌ، وتعاويذُ وجهكِ

ـ: هذي رصاصاتُه في اكتمالِ عناقيدها،
والرصاصاتُ تَقَبَّنَ قمصانَه من وراءٍ فهل..
ـ: لا تقولي.. فقد كان يرحمه الله من أصدقائي
يكاشفُني وأنُادمه وعقدْنا المواثيق.. لكنه..
لست أدري لماذا وكيفَ
لقدْ مرَّ ما مرَّ.. قولي.. ألسْنا نري مَولْدَ
الملكوت بأشكاله من سديم المواثيق؟!
فانتظري .. سوف أنشيءُ من ملكوتِكِ ما
شئتِ..

ـ: ما اسمُكَ؟!
ـ: أسماؤنا الحركيَّةُ واحدةٌ .
فاسمعي أول الشعر فيك:

أنا آخرُ العاشقين.. إلخ.

دمٌّ نافرٌ يتوامضُ من ظمأ

ويسيلُ مسيلَ الغزالات في العشب

يعلو ويرفع منديلَه فوق أعمدة الصبح،

تمشي به الريحُ، يأخذ بيتَ الإقامةِ في لهجة الفاصلة.

دمٌّ نافرٌ والكتابُ يكفْكفُه ويخيط به سرجَ الخيل

يَنّفُثُهُ في القرابة يعقّده ثمرًا وعناقيدَ

مخبوءةً في كلام النعاس

دمٌّ نافرٌ في الكتابْ

وأنت تنادمه وتُؤاخيه بعد انْفضاض الصحّابْ

وبعد فرار رعيَّته رَهبًا

وامتلاء فرائصها رَغَبًا

والبلادُ مدى للصدى

وأنت تنادمه.. مرةً بالتحامك مشتبكًا فيه
بالغضب الجِلْفِ أو صارخا بين أصدائه
عله يتكشَّف عن وجهه في المدى
اللغويِّ ويفتح نبعَ القصيدة.

تنادمه أنتَ.. وهو يهزّ بأعمدة الصبح منديلَه
اللهبيَّ، وتنتظر..
هل جسدٌ حطبٌ هذه الأرض!!
ها أنتَ تَزْوَرُّ عنهم وتبدأ:
قمصانُك انفتحتْ عن عراها
فلاذَ بك النخلُ والطميُ،
وهي اشتكتْ وجَعَ الطلق وانهمرتْ
فوق خضرتها الغامضة
سحائبُ مثْقلةٌ، واستجاشتْ دماءُ السلالة..

١٩٧٩/٣/٢٣

غنائية حجر الولاءِ
والعهد

١٠

من يرحم الحجرَ المقدَّرَ للغواياتِ انهمارِ العصْفِ
أسنانِ الرياح مباردِ البحرِ الدءوبْ؟
أقْوى خطى الحجر الوقوفْ
تنأى الحوادثُ عنه ملمومًا..
فهل تنأى الحوادثُ؟
ها هو الحجر الموطَّأ للمطر
تتخدَّد الشمسُ الثقيلةُ وجهه ويَشيعُ من
عجلاتها طحْنُ الصَّريفْ
ومسيرةُ الحجر استقامتْ وجهةً مفتوحةً للطحلب
البريِّ والكيمياء والملح المقَطرَّ
والتحولِ في الأصابعِ..
ها هو الحجرُ الملَّكُ للبشرْ

نارٌ تَبجَّسُ أو مياهٌ تتفجرُ
من يرحمُ الحجرَ المخبَّأ تحت ذاكرةِ الطفولةِ صهوةً
أو في قرابات الصبا البيتَ الأليفْ
غيرُ القصيدةِ؟!
مَنْ سواها
حين يدخلها الحجرُ
متكشّفًا عن وجهه الحجريِّ ثم يقيم فيها!!

٢

دوَّرْتُ وجهَ حصاتِكَ الصوّانِ أعلِّكُها

ـ وشمسُ التيه والظمأ الرفيقان ـ

ارتْميتُ على وجوهِكَ في الفلاة، تفتَّحتْ

طرقُ التحيُّرِ، نَبْأةٌ سريةٌ تَخْفَي وتُسْفِرُ

حينما سميتُكَ الحجرَ الأمين

يا شعرُ، واستدبْرتُ أحلامَ الصِّبا ورؤاه،

وانكشفتُ عن اليأس الرصين

لُمَعُ الشظايا من مياه العمر، واسْترْوَحتُ

رائحةَ التراب يفضُّها مطرُ التذكرِ

حينما سميتُكَ الحجرَ الدفين

ولَفقْتُ حولكَ من جراحات القطيفة، وانفطرْتُ،

أشعَتُ بين أصابعي والكاغدِ المخطوط وشْمَ دمي،

وَلملَمتُ الرمادَ.. طِعمتُه كِسرًا ولُذْتُ به،
وسميتُ الإقامةَ فيه هرولةَ التشكُّلِ
كانت الفوضي المليئةُ بالكلام
صمتًا ثقيلاً
قلتُ للحجر الذي استسلْمتُ فيه:
أعِنّ دمي، وافتح عليَّ بوجهكَ
المسكونِ بالقولِ الثقيل
وحين سميتُ الفواصلَ في الكلامْ
حجرًا، وأعلنتُ الإقامة فيه سميتُ الظلامْ
نجمًا نحاسيًا وفوهَةَ بندقية مُخْبر،
وتحصَّنتْ تفعيلةُ الرَّجز المراهقِ بانتشار
الوجه في جوع الزحامْ

وأقمت فيه.

وحين سميتُ البلادَ خريطةً لعناكب الألوان

تنسج كلَّ لون لقمةً للطاعمين وكلَّ

خيطٍ رايةً تعلو فتنقسم البلادُ وتستحيلُ

الأرضُ أسوارًا تَناسَلُ

حين سميتُ الولاءَ وحين سميتُ العدوَّ رأيتُ

موتًا ناشبًا بين الجذور يَفُضُّ من عُقَدِ

الحموضة والمياه وشائجَ النسب الصريحِ

ويستقيمُ علي محجَّتِه قتالُ الأهلِ،

نارٌ تجرفُ الحرثَ،

استفاضَتْ من عُلوِّ المدِّ أجناسٌ من الوحشِ

الطيورِ المعدنيَّةِ والخفافيش انهياراتِ السمواتِ

العلا، والعصفُ أجنحةٌ دمٌ

والريحُ تغلي بالغيومْ

قلتُ: استمعْ.. هذي إضاءاتُ البكاء كتابةٌ

وقراءةٌ في الدمع..

فاقرأ واستمعْ..

هذي غواياتُ الحجرْ..

بعثَرتَ نفسَك أمْ همو نثروكَ في عصف الولايةِ..

لا الولاءُ يفجِّر الخبزَ الأموميَّ الجميعَ ولا

الذُّحُولُ تمدُّ أطرافَ الرماح صريحةً

فأقمتَ في الحدَّيْن

فاقرأ واستمعْ:

هذا الحجرْ

تَتخرَّمُ الأمطارُ صفحتَه ويذّروه الظلامْ
يعلو، ويفتح في شقوق البرق صلصالَ الكلامْ
ويعيدُ مجدَ الحلم للشعراءِ
يضّفرُ من فتوق الصمت آيتَه
ويخطو خَطْوهُ الكونيَّ في النجوى ويُعلن عن
مجيء الشعب في أعقابه..
قلتُ: استفاقتْ من كراها هذه الزنجيةُ الحُبلى،
فَألْبسَها نزيفُ قصيدتي عُقدًا من الجمْرِ
المؤرَّثِ في دمي
- الرَّجزُ المبلَّل في خشونة ليفه يعدو
وراءَ الهودْج - استَرَخَتْ على حجْر البلادِ
وكدَّستْ أعضاءَها الزنجيةُ الحبلى

وغابت في نعاس الطَّلْق والتجأتْ إلى
أرفاغها كِسَفُ النيازك،
لاذ بالإبطينْ صوتُ الديك من كل القرى،
وتَفتَّرتْ، لا الطلقُ يضربُ وقْدَة الملكوتِ تحت
حزامها الكونيِّ، لا انفتحتْ عُرى اللبن الحبيسِ
بقُبتيْها في المشارق والمغارب، وانْسلَلتُ،
وضَعتُ رأسي فوق ركبتها وثَقَّبتُ الفضاءَ
بنظرةِ الحلم، ارتقبْتُ تَفتحَ الملكوتِ ما بيني
وبين حجارةِ الفحم المقَّببِ،
قلتُ: ألويةُ الكلامْ
منقوشةٌ.. حجرُ الظلام كتابُها المكتومُ..
فاقرأ واستمعْ:

-٣-

للقلب آيتهُ المضيئةُ..

أهلُكَ انتشروا انتشارَ النمل،

صاحتْ صيحةً: يأيها النملُ ادخلوا السَّربَ الأمينَ

ـ فما علي وجه البسيطة من أحدْ ـ

والأرضُ تتغل بالعراك وغُلمة القتْلِ،

الحجرْ

مشبوبةٌ خطواتُه من تحت ذاكرة الطفولة،

لا يكفُّ عن التخلُّع من مقالعه،

وليس يكفّ عن حرْث البسيطة والقصيدةِ،

ليس من حيٍّ يجلْجلُ صوتُه بمراسم الهَدْمِ

المباغتِ للقبيلة غيرُه،

لا صوتَ يُرْعدُ بالبكاء وقد ترحلَّت الحبيبةُ أو

تَقَوَّض مضرب الأعمام والأخوال غيرُ بكائه،
لا حيَّ يحمل في مرايا صوته سرْبَ الظباء وهَبْوةَ
الكحل المضيء وفي الحصي المشويِّ طعمَ الأمهاتِ
ثريدةَ الأعراس إلاّهُ،
وفوق جبينه المطحونِ صوتُ الهامة الظمأى
يولول بالقتالْ
وهمو تبددت الرياحُ بهم ولملم عنهم الموتُ الحوادثَ
فالبوادي تحت سلطان الحجرْ
وهو المكابدُ للحوادث وحْدَهُ

قدَّسْتُ بيعته أقمتُ الحلفَ ما بيني وبين
حضوره السيّالِ
عروتُه الوثيقةُ خاتَمُ الإرثِ الأخوةِ والولايةِ،
وهو عاصمتي أزاوجُ فيه بينَ الصمتِ
والشعرِ الكظيمْ..

أولُ الحلم آخِرُ الحلم

محمد عفيفي مطر

امرأة ليس وقتها الآن

خضرةٌ تحت جلدكِ مشْربةٌ بالدمِ الطمي جوٌّ
النحاس الصقيل وسمرةِ مرمركِ اللامع
العشبُ يترك لهْوَ الطفولة منسحبًا لجروف الينابيع،
ينْدى بدفء الأخوة والظل بين الذراعين والجذع،
هبتْ من الريح طيبةٌ يتكدَّسُ من مَسَّها رملُكِ
الرخْو مرمرُكِ الأسمرُ، الرعدةُ الملكيةُ
نارٌ تماوَجُ بين الصلابة واللين..
واندلعتْ في القباب المليئةِ بالزهو شمسٌ من
العنبر اشتعلتْ في الزبيب مفاجأةُ الماء
والرحمةِ الرطبةِ

اصْدَع بما تحلمُ، الوقتُ أوسعه مرٌّ
أضيقُه مر، أنتَ تخطَّيتَها:

أربعون من العمر ولَّتْ بلادٌ تولَّتْ
فليتك تُملي ولاءكَ للحلم
هذا تجلّي ولادتكَ الجامحة/
.

وأسحب صيفًا من الصوف فوقي
معي الشمسُ أبعدُها أقربُ المسِّ بيني
وبين القميص، استَفقْتُ ذهولاً، ونمتُ،
الصحارى تقاطَرْنَ لي بالغضا والشقائقُ للمَنَ
ظلَّ النسور المُطيفة
قَدَّمن لي ورْسَهنَّ وطعمَ الأراكِ
وأدعيةً من عَرار المحبين
هل باخعٌ نفسك المستهامَةَ في زَجلِ النِّيبِ والطللِ
المتهوِّس بالراحلين

ــ. عليهم ـ تفيض عيونُكَ .. تبيضُّ .. يا أسفا !!
أخرجوك من الأرض، كانت حواراتُهم
لغةً لستَ منها
الشوارعُ أوسعُها أضيقُ الصرخات بقلبكَ
وحشيَّةُ الجوع آنَسُها يتفصَّد بالرعب
لا تعْدُ عيناك عنهم إذا دخلوا الحلم أو خرجوا
اصْدَعْ بحلمك
هلْ مخرِجُوك همو من خُطاك أم الأرضُ
واللغةُ امرأتان تقاسمتا قلبكَ الغضَّ أم
هذه امرأة جارحة/
ورأسي علي ركبتيكِ وعيناي كأسا دمٍ
يتخثَّر من تحت شمسيْكِ

أسقط ما بين شمسَيكِ
أنزف ماءً وثلجًا وأدخل أزّوِقةَ الله،
شمسان:
مصهورةٌ تتشظى بجفنيَّ واحدةٌ،
تتكلم أخري عن الكائنات المذابة
تجلس في حضرة الدهشة المشّرئبَّة تحت
الظلام، وأدخل أزّوقة الله،

زمَّلني الصيفُ والصوفُ تحت فضاء السموات،
نمتُ، استفقّتُ ذهولاً، ونمتُ،
تدثّرني جمرةُ الليل
تفّرِطُ فوقي عناقيدَها اللهبيَّةَ
بيني وبين القميص الخيولُ الصَّواهلُ،

الْفافُ غاب من الشجر المعتم المتهدِّلِ،
هذي غزالةُ خوفي مطاردةٌ حرةٌ،
أتقلَّبُ
واديكِ يهبطُ
ريحانُك ابتلَّ والعشبُ
رأسي على ركبتين هما الخبزُ والماءُ
هذي غزالةُ خوفي وخوفي:
هما امرأتان أم امرأةٌ يتقلبُّ بين يديْها دمي؟!
الطبقان المليئان ،
شمسان من عنبر وزبيب،
وأرضٌ رخاميةٌ الليل بيضاءُ
فاصّدَعْ بحلمكَ..

ناشئةُ الليل مثقلةٌ والكلامُ الثقيلُ الأباريقُ
تزيدُ بالماء والخضرة اللافحة/
علي كتفيَّ اليمامُ المطوَّقُ باللهب الأخضر،
الخاتمُ العائليُّ مضيءٌ
وهذي هي امرأتي:
مرْطُها نَشَّرتْه الرياحُ فلاذَ بهِ الغيمُ
والأنجمُ انتثرتْ والسمواتُ كشَّفن لي زمنَ الفتح،
خيلٌ، وجوهٌ تعرَّفتُ فيها عشيرتي الأقربين لهم
صولةُ الريح وادَّرَعوا الفقرَ
والتحموا جسدًا للأخُوَّةِ
فاصدعْ بحلمكَ
هذي عشيرتُك الأقربون دمٌ يكتب السعفَ

الحيَّ والأغصنَ المثمراتِ،
دمٌ يتناسل فيه النبوّاتُ والشهداءُ
الكتاباتُ والصرخةُ الفاتحة/
وهم يكتبون ولا يقرءون
انْتبهْ،
غيرُهم تحت سَبْيِ القراءات مغتصَبون
فَبشِّرهمو:
أنتَ نسلُ الكتابةِ:

تقرأ
تخرجُ
تُقتلُ
تبعثُ
وحدكَ
في أمةٍ أنتَ واحدُها
وهي تحت السموات
أعضاؤك
انتثرت:
فانتبه

والقراءةُ بُشرَاكَ
أوَّلُها موتُك الآيةُ الواضحة/
وآخرُها أمةٌ تقرأ السعفَ الحيَّ
والأغصنَ المثمراتِ
انتبهْ
لستَ وحدَكَ
فاهجرْهمو ـ حان وقتُكَ ـ هجْرًا جميلاً
فكلٌّ بما عنده فرِحٌ،
وتَلَفَّتُّ:
جندٌ، عيونٌ مدجَّجة
والدروعُ السَّوابغُ، والزَّرَدَ الآدميُّ ارتخاءُ الهلامِ..
تَخبَّطتُ بينهمو

والحصارُ يضيقُ

استَفقتُ من الرعب:

كلُّ الجوارح تعدو وتلهثُ،

تَلُفُّ وجهي - يدٌ عَنْدمٌ وحريرٌ:

هي امرأتي.. يتكسَّر في وجهها الطميُ أقنعةً

سبعةً يتكشَّفُ أقنعةً سبعةً،

والعروق على ظاهر الجفن نابضةٌ زرقةً يستريح

بها أرَقُ العشقِ،

ما بيننا يرقدُ النهر دمعًا طريًا

ويفتح بيني وبين الصبّا خطوةً

- نحن في أوَّلِ الوقتِ؟!

- بل نحن آخِرُهُ.

ـ : تمكثين إلي مطلع الشمسِ؟!

ـ : هل أفقٌ أخَرٌ تطلع الشمس فيه فأمكث؟

ـ: لمْ أتعرَّفْ عليكِ دمًا راعفًا بالطفولة،

فلْتمكثي

ـ : جسدي يَتفرَّطُ دمعًا عليكَ ويخضرُّ،

أنتَ بخضرة أعضائي السنبلاتُ المليئةُ،

أحمل وجهكَ تحت قناعي وأرحلُ،

فاصدعْ بحلمكَ.

ـ : هل نحن في آخرِ الوقتِ؟

ـ : بل نحن أوَّله.

ـ : والبريدُ المسافر بيني وبينكِ هل

تحمل الريحُ أمطاره؟

ـ : أشتهيكَ كما قد قضي الطميُ بالعشق.
ـ : هذا انهيارُ دم في دمٍ وانفجارُ السمواتِ بالماء،
هل ترحلين
أراحلةٌ أنتِ؟!
ـ : ما هَمَّ والوقتُ ليس لنا الآن!!
ـ : ناشئةُ الليل مثقلةٌ بالظلام الثقيل
النجومِ الخفيفةِ والغيمُ يعدو
ـ : الوداعَ
ـ : الوداعَ

استفقْنا ذهولاً:
من الرعب لم ألتفتْ
وهْيَ لم تلْتفتْ

١٩٧٧/٥/٣٠

هل الانتظارُ هو

فهل أملي لكِ وأمّهلُكِ الرّويدَ من شبق البحر
واستنامة الأرض للأجساد الذائبة!
صدوعٌ هي الأرحامُ المولّهة
ورجرجةُ الماء فعلُ الذكورة
فأمّهلكِ.. أسمع فَورَان الأنسابِ
وتلاقُحَ الاختياراتِ

وأملي لكِ..
اسمع نُضْجَ الدم:

أيدٍ تنبت أصابعُها
أقدامٌ تأخذ شكلَ السعي والطريق
وأصلابٌ بين مطرقة الطبيعة الحرةِ وسنْدانِ
اشتقاقِ الأسماء على غير قاعدة

وأنتَ ترقب الأرض ذاتَ الصدْعِ والسماءَ

ذات الرَّجْعِ

وترقبُ الجبالَ تمرُّ مَرَّ السحاب

لا تدخل الحلم ولا تخرج

فإذا أفَقْتَ فامسَح النومَ من عينيك

وتفقَّدْ علي قافية الرأس العُقَدَ المعقودة

فبأي ناصيةٍ عُقِدَتْ ذؤابةُ الولادة

وألويةُ البحر والأرض!!

لا أنتَ تدخل الحلم ولا تخرج:

للمتوسط زاوية قائمة،

في الشرق والجنوب هندسةُ الإغراءات

والأحمرُ علقةٌ لا تكْتسي، له شكلٌ

الزّواحف ولا يسعي

فقيرٌ أنتَ من العائلة فقيرٌ للعائلة

لا تدخل الحلم ولا تخرج، ولموتِها كلُّ سببٍ إلا

الموت.

طال بكَ حالُ الرِّباط

لقدميْكَ ظلٌّ مَنحْتَه قداسةَ الثغور وأمانةَ البلاغ

جسدُكَ تهليلةُ السموات والأرض

وما بينهن لائذٌ بكَ، يدخل الأسواق،

يأكل الطعام، يتخفّي

فبالعشائر أنتَ والأمهات

هل يكيدون ويكيدُ الفقراءُ كيدا؟

بل يمكرون ويمكر الفقراءُ:

خيلهمو مجنَّحَةٌ
ممالكُهم لها أسماؤهم ووجوهُهم أفْقُ اللِّواءْ
يترافدون عباءةَ الرُّقَع القديمةِ والقديدَ
ونكْهةَ الخبز المشَمَّسِ وامتلاءَ النوم
بالأشجار والصحو، امتلاءَ الوقت بالطير
المحوِّم والبكاءْ
والخيل بين الصحو والأشجار تَعْتَلكُ الصهيلَ
وتشرئبُّ علي اتساع الرمل في شَجْو الحُداءْ
وتمرُّ بين النوم والأشجار.
لا تُغْري ولا تُغْريَ
وليس لها بمعمورٍ ثواءْ
ديْمومَةُ الريح العصوف لجامُها المرْخى،

وأمداءٌ من الكرِّ الفسيح

فلا تراوِغْ لا تُرَاوغْ،

ترتوي عرقًا وتصهل بين أشْفار المناجلِ والسنابلِ

تضربُ الأرضَ المقيمةَ في نُعاس الحمْل،

تغفو غفوة الرقص المفاجئ في البراري،

يستَجيشُ بها عُلوُّ المدّ والموجِ

المزاحمِ تحت مجْروحِ الغناءْ

هل أنتَ تعرفُهم وهل همْ يعرفون؟!

هم يعرفون وأنتَ تعرفُ:

أنتمو وطنٌ يُسنبلُه الدمُ السريُّ

عهدٌ قائمٌ أم قدْ تَفصَّمَ،

بيننا حَبلٌ من القسَم المغلَّظِ بالمجيءْ..

أمْ قد تَصـرَّمَ؟!.

فلْتقُل يأيها العلَنَ الخبيءُ..

أجتمعُ في نفسي علي البكاء وكلام الأنهار والشجر
بيني وبين العشيرة الأقربين منازلةُ العشْقِ
وسَفرُ الحميّة
وكرامةُ الأعراقْ
بيننا ماءٌ للكتابة وجمرةٌ للعناق.
بيننا ماءٌ للكتابةِ:
لكَ الجبينُ المغسولُ بلبن الأمّ،
سقطَ الزَّغبُ الأصفرُ وتجلّى وجهُكَ بلون الخبز
تخرج تحت فضاء الليل وتغدو شجرةً هائلةً
يلفُّها الظلامُ المرقَّط

كلما اختفتْ نجمةٌ غادرَ عضوٌ من أعضائك الليلَ حتي

تتكاملَ علي فراشك الخشن

للحصير والليف غابةٌ من تآلفات اللمسِ والأحلام

للسموات ذاكرةٌ في عينيك

تعرفُ كم دائرةً تطيرُها الصقورُ والحدآتُ العاليةُ

حتي تصير الشمس في مركز الأقواس

وكم مرةً تلدُ الأبقارُ حتي تشعَّ منها قداسةُ الأمهات،

وتعرف لون المهرة من رائحة السرّج أو حموضة

العرق

للثيران والإبل تمائمُ الصداقةِ وذكرياتُ الأخوّة

والموتُ يرسم خطوطَ الجوار الأليف بين

دفءِ البيت وفطائرِ الرحمة للموتي

يتكلم الحصي في يديك

يحكي دخوله في أعتاب الأهل وأضّرحةِ
الأولياء وعَرَصاتِ الخبز
ومدارَ انفلاته من المقلاع إلى وحش الطير
والثمار البعيدة
مسكونةٌ هي الخطى بقرابةِ الخميرة للأرغفة
وقرابةِ القبقاب الخشبيِّ لأفرع الجميز
وقرابة الجلباب للعصافير
زيارةٌ هي الشحاذون يفتحون أبواب الفجر
حضورُ الكون وكبرياءُ التكامل هو أذانُ العِشاء
وكلُّ الطرق دعوةٌ لضيافة مفتوحة.
تعرف كم مرةً تدورُ الساقيةُ فترتوي آخرُ سنبلة
وتحلم بخرّق العادة وتنتظر العجائبيَّ واجتراحَ

المعجزات

فتمتدّ من يديْك الينابيع

وتهاجرُ الطيورُ بآفاقها إلي صوتك السريّ

حنجرةٌ هي الطباقُ السبْعُ

وتمامُ القراءات هي الأرض

والخليقةُ مطويةٌ تتقلّبُ بين نهارات المتحرك وغسق

الساكن

أممٌ تقوم وتهوي هو جسدُ الإيقاع

المكتوبِ في رياضيّات الحلم

بيننا جمرةٌ للعناق:

أحلُّ عُراها وأفتح أكمامَها،

ورقٌ مخمليٌّ تقرَّاهُ ماءُ الأصابع، كفٌّ تكابده،

كلما سقطتْ ورَقةٌ نَفرَتْ في منابتها فَورةٌ

للطلوع المفاجئ وازدحمتْ..

ليس تَهْوي الوَريْقاتُ في ملأ من حرير النعومةِ

والدفءِ إلا اقترابًا يباعد بيني وبين مزارات

خضرتها، والخطي نحوها أوْبةٌ .. ليس في الكفّ

من طَلّعها رجفةُ المسّ بل رعدةُ الأسئلة/

وجوعٌ تقادَمَ واحتشدتْ في مفازاته الروحُ.

ألْقَتْ عباءتَها المهملة/

وأرختْ نطاقَيْن قَلْعينْ فهي السفينةُ

أعضائيَ البحرُ والريحُ صاريةُ المزْنِ

قلتُ لها: قد أقمْتُ مقامي من الوحشة الآهلة/

نديمي دمي، قلتُ: وحدي.. وهمْ كثرةٌ غالبون

فقالتْ: هي المحنةُ النعمةُ الكاملة/

وهذا اصطفاؤك، هم صولجاناتُك الخُضْرُ،

هم في مسير الرياح قصيدتُكَ المقبلة/

«فكنْ سماء وحي وأرضَ ينبوعٍ وجَبَل تسكين،

وإذا تحرَّكْتَ فلتكنْ حركةَ إحياءٍ»

كرمةٌ أنتَ... فانظرْ:

أيُّ سلطانٍ لكَ فتنفذَ من

أقطار السموات والأرض!!

لكَ ممالكُ الجنِّ الفسيحةُ وقلقُ الإنسانِ

ومستقبلُ الحلم:

جَولانُ النومِ في المدن المهجورةِ وشواهدِ

القلاعِ أو يقظةُ الجلوسِ علي العرش

تستبدُّ بك فوضي الغيوم والأرْجُوانِ المدَمَّمِ في
مملكة الريح
فهل هم الموتي يعيدون أدوارَهم في
صمتكَ المسكون بماء التذكر.. فترى كل
شيء شبحًا يهيم بين مرآتيْن؟!
كرمةٌ أنتَ.. فانظرْ:
لكَ الأرضُ، نقشٌ من الضوء والعتْمةِ
الرطِبة، الشمس تسقط من بيْن أفرعك الشبكية

ضوءٌ: لعلَّ بلادًا تخامرُها النارُ فهي تَوقَّدُ في السر
ظلٌّ: لعل بلادًا تنام علي فَزَع الصُّور
ماءٌ وطينٌ: لعلك نهرُ البكاء المجلْجِلُ،
علَّكَ تَعقد في إصبعيْك العصائبَ والنهرَ،

تمشي فيتبعك الشجرُ الرَّخْصُ،
تمشي علي خطْوِكَ الزَّلزِلة/

هُمُ انسربوا سَرَبَ الذَّرِّ وانتشروا:
لا السمواتُ تبقي كما كنَّ،
والأرضُ تطوى كما طُوِيَتْ خيمةُ الظَّعْنِ..
فاهبطْ إليهم كما يهبط السيل..

١٩٧٧/١٢/٢٥

امرأة.. إشكاليات علاقة

تَهدَّتْ ناقةُ الليل، استَطَفَّ لها من

الريح المليئةِ بالظلام الكِثْرُ،

في اللّحيينْ من جَرْشِ اللّغامِ الرعدُ،

وانتثْرتْ مِن الرَّغْو النجومُ الفَضةُ الماءُ المدَّممُ

والغبارُ الزعفرانيُّ، الرُّغاءُ وشيجةُ

الإيقاع ما بيني وبين الأرض

وامرأةٌ تُساقِط عن خواصرها النصيفَ تقوم

ما بيني وبين الأرض نافذةٌ معشَّقةَ الجوارحِ

بالطيورِ وهمهماتِ الغاب والنهرِ المشاكسِ

والبلادُ بأسرها انكشفتْ

مددْتُ يديَّ:

كنتُ سوايَ، ليس النهرُ ما كنا عبرناهُ

عراةً نلبس القمحَ الصبيَّ، الغابُ غيرُ الغابِ،

والطيرُ المراوغُ غير ما كنا سرقْناهُ

صغارًا من عشاش القشِّ،

والأشجارُ ليست ما زرعناهُ

أبي وأنا،

ولا رحِمٌ تشدُّ خطايَ للأرض

المطيفةِ خلفَ نافذةِ الجوارحِ،

هذه امرأةٌ تقوم مقامها بيني وبين الحلم

(معتصمٌ بوجه الحلم معتصمٌ بطوفان القصيدةِ)

هذه امرأةٌ تدبُّ النارُ تحت قناعها الطينيِّ،

يطلع وجهُها السريُّ:

يخطو فوق بلّور النوافذِ

والرياح بنفسجُ الصحو، الدمُ المخْفورُ من
عهد الطفولة رائقٌ كالماء،
والأفْق الزجاجةُ، والزجاجةُ كوكبٌ
والقرطمُ الشوكيُّ مشتبكٌ بآخرِ ظلمة تعْدو..
الضحى يعلو بأطراف المآذن والقبابِ يَفُضُّ
سنبلَه المرقشَ في عقود الطير والسعفِ..
الضحي يعلو.. وأنتَ قضيْتَ ليلتكَ الثقيلةَ عاريًا
تعدو تخوُض بين بارقة النعاس وخطْفةِ
الحلم المكاشِف، أنت قد قَضَّيْتَ ليلةَ عمركَ،
انكشفَ المدي ما بين بارحةٍ وسائحةٍ
وأنتَ تُصاوِلُ الوحشَ الكلاميَّ
المدجَّج:

هلْ هولٌ أوسعُ مديٌّ من صمت النار بين
غلافِ الكتابِ وغلافه الآخر؟!
والأرضُ: كتابُ المسافة وكتابةُ الأفق.
والوحشُ الكلاميُّ المدجَّجُ بالكوفيِّ والنَّسخِيِّ
مندلعٌ في خروم المخطوطات
يُخفي وجهه السريَّ في خشخشة الكاغدِ
ورائحة الرقوق وكثافة الرشاقة في موت
الظِّباء ونكهة الجلودِ القديمة
ويعلن حضوره في طعم الحبر والماء والصمغ
ويسافرُ في صوت الريح المقيم في قَصَبِ الأقلام
أتَذْكُرُ مخلاةَ العبَك والمقلمةَ النحاسيَّة
ومجمرةَ الرمل وريشةَ النّسر؟!

أتَذْكُرُ شجرَ الزّنجارِ الأخضر ورائحة
التراب ومخطوطةَ شرْح القُطبِ علي الشمسيَّة
ونحْوَ الأشمونيِّ وسُلَّمَ السَّاويِّ وإيقاعَ
الرَّجزِ في الألفيَّة!!
أتَذْكُرُ حُمْرَةَ الألِفِ والياء في خطبة جَدِّكَ
عامر للجمعة اليتيمة وزخرفته الباهتَةَ
لهبوب الريح من تِلْقاء كاظمةٍ وإيماضةِ
البرقُ في الظلماء من إضَمِ!!

تلك كانتْ آخرَ العهد بوجه أمِّكَ وجميزةِ
البكاءِ وموتى العشيرة
وآخر العهد بتواطؤات السمْع والبصر والفؤاد
«وكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليومَ حديدٌ»

ذلك أولُ العهد بأولياءِ نعمتي
لسانُك مختومٌ بعسل العشق واللهجة الصادقة
ودمُك أولُ الضحي في الكلام الصعب
فَلْيَسكُن النيلُ أعضاءَك والفراتان
ولْيَنْبُتْ في جسدكَ القصبُ وتَخْضَرَّ في
صوتك أهْوارُ القصيدة
وليمتلئْ حزنُك بالكشمِش الموْصلِيّ
فقد منحتْك من بناتِ الملوك الأعراب صفُراهُنَ
وشمتْ وجَهكَ بشمسِ الطابوق
ومساميرِ الكتابةِ في المرمر

أنتَ في عرس القبائل:
ها هي انتشرتْ مقاصيرُ الحجارة

والرخامُ توهَّجَت منه الهياكلُ والدُّمى
امتدتْ صفوفُ الخيلِ والفرسانُ مدَّرِعون
حول الساحةِ
الشمسُ النفيرُ وزرقةُ الأفقِ الصدى والصوتُ
شمسٌ جَنَّحَتْ ألفًا من العربات واندلعتْ
تطيرُ وأفقُها وَهجُ الدروع
المرمرُ انفكَّتْ طلاسمُه وبارَحَت الكتابةُ
والنقوشُ زمانَها الحجريَّ
والأممُ الشعوبُ تكأكأتْ فوضى من الأعشاب
والماءِ، القبائلُ تستعيدُ حزارةَ الأسْجاعِ
بين الهمز واللّمز، الملوكُ أتوا:
تقسَّمت القبائلُ تحت أعلام الطواطم

ها هي الأعلامُ خاَتَمُ خِطْبةٍ لبستْه أعمدةُ الرياحِ
الشمسُ نقْعُ الخيل طَمْطَمةُ الجموعِ،
ومهرتان تشابكتْ بيني وبينهما الخيوطُ،
رأيتُ في خيطين تَقْطُرُ منهما الحنّاءُ في الكعبين
دائرتينْ واسعتين:
عشقٌ بازغٌ أمْ دارةٌ للموت؟!
كحلٌ زُرْقةٌ عَسَليةٌ: خيطان تَنْفتِحُ السماءُ عليهما
أفقًا من البَرْحيِّ والرُّطب الخيامُ تخلَّلَتْها
الريحُ بالغزلِ القصائد وانتحابِ الوشمِ بالذكرى

الدمُ الفِضّيُّ في المهماز، شمسٌ قطرةٌ
عَلِقتْ بحدِّ السيف:
هذا البحرُ مجْتَمعًا تشيرُ إليه عاصمتان من برقٍ؟

سرابٌ؟ صفحةٌ مكتوبةٌ فيها اقترانُ دمي

بماءِ المعدن الخلاق؟!

حَمْحَمتان تشتبكان:

مهْرَتُها اغتلامٌ طافرٌ ما بين

همهمة الشكيمة واندلاع الماء والنيران في

الكفَلِ المدَمْلج،

بين أربعةِ الحوافرِ يُولدُ الإيقاعُ قافيةً فقافيةً

حصاني ـ وهو عاصفةُ الرُّباعيَّاتِ ـ منكتمٌ

تَجمَّعُ فيه من حِقب الذكورة والجموح رشاقةٌ سريةٌ

هل كان بينهما الذي بيني وبين حضورها الملكيِّ؟!

في كتفيَّ كانتْ كبرياءُ الفقر حشدًا من نبوَّات الدمِ

الشهداء والثوراتِ أعتابِ الصباحات المليئةِ

بالغيومِ العشبِ أشجارِ الخليقةِ والبراحِ الطمي
والقطعانِ
والأسلافُ يحتشدون بين أصابعي النسلُ
المقاومُ بالمحاريث السيوف قصيدةِ الغزلِ
الصريحةِ مستكنٌّ حول مقْبض سيفيَ،
انطلقتْ بمهرتها تَخطُّرُ..
دورةً .. ثنتين
قبلي فتْيَةٌ سقطوا.. الأخيرُ أنا
وهفهفت العباءةُ والمطارفُ قد سَتَرْنَ كَشفْنَ
هل هذا الزواجُ الصعبُ آخرُ بدعةٍ
كتب الملوكُ طقوسَها
أم هذه نُذُرٌ احتفاليّات موتي تحت أسياف العشيرةِ؟!

دورةً .. ثنتين

أرقُص والمياهُ تفطَّرَتْ فوق الجبين بسرِّها

الجبليِّ رائحةِ المراهقةِ العريقة

عَطَّفَتْ نحوي الشكيمةَ واشرأبَّتْ نجمةُ المهماز

وانفجرتْ علي السيفين شمسٌ..

ضربةٌ .. ثنتان.. ثالثةٌ..

تكسرت الشموسُ وهَمْهمَ البرقُ

استضاءتْ عُدْوةٌ ما بين بحر الروم والظلمات

رابعةٌ وخامسةٌ..

تَفلَّتَ بيننا ومْضُ القرى والنهرِ والأرضِ الأسيرة

والمدي اتسعتْ دوائرهُ، استراحتْ سَوْرةُ الخَببِ

استدارتْ فوق مهرتها تَخطَّرُ واستدْرتُ لها،

البدايةُ صعبةٌ،

عَطَّفتُ نحو صهيل مهرتها الشكيمةَ

ثم ألقيْتُ الدريئةَ ما ادَّرعْتُ، رميْتُ هَلْهَلة الزُّرودِ

وبيضة الرأس، انكشفْتُ كما أريدُ،

لعبتُ بالسيف المراهق مثلما أتذكّر الصقْرَ

استمالاتِ النخيلِ ومثلما اتذكّر الريحَ الصبيَّة،

كنتُ مفتوح القميص غوايةً، شاغلْتُها،

العجبُ العجابُ يطير من تحت القميص،

الوشْمُ وضّاحُ الخرائطِ:

يطلع النخلُ الحروبُ الألفُ

بحرُ الروم يعلو فوق أطراف الجراب

شواهدُ الأسلاف تبرُق بالأهلَّةِ والبكاءِ الصعبِ

أرضٌ شقّقتْها شهوةُ المطرِ

الخيولُ طليقةٌ في الغيم

أفتح رقصتي بَيتًا وألعبُ

سيفُها يعلو ويهوي ثم يطعن

مرةً.. ثنتين.. عشرًا..

وانْفلَتُّ، دوائرُ الموت القريبةُ والبعيدةُ كنتُ

أعبرُها وأرقص بين حدِّ السيف والموتِ الْتقاءِ

السيفِ بالسيفِ انهمارِ الكشْفِ والأسرارِ

دُرْتُ ودارت اشْتبكتْ دوائرُنا،

فمَعْرفَةٌ لمَعْرفَةٍ وأربعُ أعينٍ تتفتَّحُ

الآفاق تحت عراكها السريِّ

ـ لَمْحَ البرقِ ـ كنتُ أطيحُ من يدها بمقبض

سيفها ارْتكضَ الحصانُ وراءَ مهرتها
جموعُ الصرخة انعقدتْ علي وجه القبائل والملوك
ونحن في الصَّبَبِ الرباعيِّ انطلقْنا من وراءِ
السّورِ وانْفتحَ البراحُ لنا

هما في الظل يخْتَضمان عشبَ الأرض
مَعْرفةً لمعْرفةٍ وحمحمةً لحمحمةٍ
ونحن نراود الخلق الموحَّدَ
ـ : تَمَّت النِّعمة/
لكِ العروشُ العليَّةُ وأعمدةُ النهر
وخميرةُ اليابسة
«والْتفَّت الساقُ بالساقِ»
استدارَ الزمانُ علي أوَّله كيومِ بَدَأَ الخلق،

فهل تلدين النهرَ وأرفعُ لك قُبَّةَ الفضاء
وأدْحو كرةَ الأرض؟!
ـ : فلتبتدئْ زمنَكَ ومعجزةَ يديْكَ وآيةَ
وضْعِ الأسئلة في ألْسِنَة الأحياءِ والموتى
وعسَل الحيرةِ والْتفات المعرفةِ
ـ : أثْخَنَتّني الجراحُ كما قد شَهِدْتِ وأثْقلني
الوشْمُ بالميراث والولاية
ـ : حذارِ.. فإن الأفْقَ تعلوهُ غَبرةٌ عالية..
وقبل تَلفُّتي كان العَجاجُ وكانت اللغةُ المفتَّتةُ
القبائلُ والملوكُ يزاحمون الأفق بالغضبِ
المجانيقِ الصهيلِ ورغوةِ الزّهو المخاتلِ..

كان رعبُ الوحش شوكًا طالعًا تحت

الأظافر والدم

الأرضُ البراحُ تفرُّ تحت حوافر الوحشيّن
ليلٌ أرْقَطٌ يلتفُّ أشجارًا تكاثَفُ عوْسجًا
عشبًا من الأشْفار والخوف المجنحِ
تطلع الهُولاتُ
ـ : كم شمسًا تقلَّبت السماءُ بها ونحن
نشقُّ هذا الليلَ؟!
«صمتٌ مثقل بالرَّعْدِ والصرخات ينطق بيننا»
شمسٌ مفاجئةٌ تَفتِّحُ بابها والأرضُ هادئةُ الولادة،
ليس من أحدٍ سوايَ
«الموتُ أخطأني وأخطِئُه؟!»
الغيومُ ثقيلةٌ والهوَّةُ اتَّسعتْ وقام بها عمودُ الصبح

«موتًا تستريحُ به.. الملوك قَضَوْا
وبُعثرت القبائلُ تحت أعلام الطَّواطمِ والطوائفِ»

فوق وجهي يسقط الطابوقُ والطميُ المفتَّتُ،
مرمرُ الأبهاء يُوصَدُ لحظةَ الخلق اشتباكِ
الحلم بالوحش الكلاميِّ،
الرخامُ يُعيدُ سيرتَه:
الملوكُ علي عروش الحفْرِ، صمتُ قبائلِ
الأحجارِ منتشرٌ وأفْق من ملاء الصخر
والأنصاب والأزلامِ

ثلاث نهايات مُقترَحة:

ـ١ـ

الرُّخامُ يُعيد سيرتَه:

الملوكُ على عروش الحفْر، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفْقٌ من ملاء الصخر

والأنصاب والأزلامِ،

يا امرأةً تنام علي مَحفتِّها الفقيرةِ

أيُّ حرثٍ أنتِ؟!

هل من أيِّما موت طلعتِ؟!

الريحُ تلبس خاتَمَ الطير المحوِّم والكتابُ

تقلَّبتْ صفحاتُه من تحت دوّاماتها

الوْجهُ المحيَّرُ في سموات الضحى والليل

يا امرأةً أموتُ علي محفَّتها الفقيرةِ

أيُّ نومٍ نَشَّرتْه عليَّ سِعْلاةُ الكلامِ

وحوشُه النسخيَّةُ الكوفيَّةُ؟!
اعْتَصِمي بوجه الحلم
واعتصمي بطوفان القصيدةِ
قَلِّبي عينيْكِ ما بين الضحى والليل:
هل هذا البنفسجُ والدمُ المخْفورُ من
عهد الطفولةِ راعفٌ في الأفْقِ؟!
أمْ فَزَعٌ مقيمٌ تحت فرْشتنا سيكتبَ بَيننا
عَقْدَ القران ولايةَ النسخيِّ والكوفيِّ طعمَ
الصمغِ والجلدِ القديمِ خلافةَ الإيقاعِ في
فَرَحِ الطفولة بالضحى والليل؟!

٢٠

الرُّخامُ يعيد سيرتَه:

الملوكُ علي عروش الحَفْرِ،

صمتُ قبائلِ الأحجار منتشرٌ وأفْقٌ من

ملأَءِ الصخر والأنصابِ والأزلامِ،

يا امرأةً تهدَّلَ شعرُها والتفَّ حِنّاءً

وخَشْخشَ دفْؤه الليفيُّ والتفَّتْ علي

عينيَّ غيمتُه، اشتهاؤكِ رجْفةُ الطمي المبللِ،

والمسافةُ بيننا أدْنى وأبعدُ من

دمِ الصرخات في الحِقْوين

«طلبتُك كما اشتهتْ نفسي وأشْرقت

الحدوسُ بين الإمكان والموت» .

العشائرُ أبدعتْ من موتها الحجريِّ إيلافًا،

لإيلاف العشائر رحلتان:

الصيفَ: مُهْرُ دم وقافلةٌ من

الغيْم الخفيفِ الأُفُقُ شَظْيةٌ مارج يعلو

الرمالُ استَفَّها العصفُ الجزيرةُ صفصفٌ،

دشداشةُ الزَّهْو الجهولِ، السَّبْي يأتي،

والحرائرُ والإماءُ يجئن والخصيانُ،

فقرٌ مزهرٌ، والجوعُ شمسٌ فرْفَرَتْ

كالذِّبْح في دمها

الشتاءَ: القهوةُ التبغُ المرايا البحرُ يُزيدُ

في الزجاجةِ والزجاجةُ كيمياءٌ للتَّلافيق

القديمةِ والجديدةِ ــ

ها هو شعْبٌ أُغلِقَتْ دونَه مرحَمَةُ الحلم،

لهُ الدمعُ العريقُ والكتُبُ الصُّفْرُ
لهُ رائحةُ الصمغ واحتماءُ الوشمِ بالكوفيِّ والنسخيِّ
ومن تحت جلده تنْدَلعُ المخطوطاتُ وروائحُ
الزِّنجار الأخضرِ وشجرُ الأقلام

وأنتِ بيني وبين الجميع
ساعةٌ للزِّلزلة والعصْفِ المأكول
ولقمةُ المؤاخاة بين النار ونكهة الجلود القديمة
وقيامةُ الإيقاع وأهويةُ المحاريبِ والأفق..

٣٠

المُلوكِ علي عروش الحفْرِ،
صمتُ قبائلِ الأحجارِ منتشرٌ
وأفْقٌ من ملاءِ الصخر والأنصاب والأزلام.
يا امرأة العشائر عَرَّشَ النخلُ
الرخاميُّ الطيورُ وشمّنَ طابوق السماءِ أهلَّةً
والتمَّت الصرخاتُ ساكنةً علي جصٍّ الشفاهِ
بكّيتُ، والشَّعْرُ الغلاميُّ استراحتْ تحت ملْمسهِ
الأصابعُ والمسافةُ بيننا اتَّقدَتْ
زجاجُ الصحو يَبْرُقُ بالبنفسج والدم
المحْفور مِن عهد الطفولة
هيِّئي طقسَ المقايَضةِ المراهنةِ:
البنفسجُ.. كلُّ واحدةٍ بصَقّرِ دمٍ يفرُّ من

الضلوع ويكتب الأفقَ الأهلَّةَ
والغيومُ.. بكلِّ واحدةٍ صراخٌ مُشرَئبٌ في
الجوارح للمسافاتِ
الخيولُ .. بكل ضربَةِ حافرٍ ملكٌ،
بجمجمة السِّفاد قبيلةٌ،
بطراوة الدمع العشائرُ،
بالندى وروائح الطمي المبلَّل.. كلُّ ما
ولدتْ نساءُ السَّبْيِ.

فارتْعدي.. الضحى يعلُو، البنفسجُ في
صراخ الريح والأفْقُ الزجاجةُ
والزجاجةُ بيننا اتَّقدتْ بصمتِ زواجِنا
السريِّ صمتِ عراكنا السريِّ
فانْتبهي ـ.. البلادُ بأسْرِها انكشفتْ

١٩٧٧/٨/١٩

محنةُ هي القصيدة

«ولقد نري تقلُّبَ وجهكَ في السماء»

غيمةٌ من رُقَعِ الماء الفضاءِ الدُّخْنةِ الباهتةِ
التَفَّتْ علي مِغزَل شمس ورياحِ
ورماديٌّ نسيجٌ فكَّكَتْ عُروتَه حُدْوَةُ طيرٍ ليس
يَنْقضُّ ولا يعلو،
اهتراءاتٌ رقيقاتٌ تَبعثرْنَ وفي هُدَّابهنَّ
اشْتبكَ الشوكُ المضيء القنفذُ السَاطعُ يرعى،
عنكبوتٌ ذهبٌ يَقطُرُ منه الأرْجُوانُ
الليلٌ في آخرةِ السهل عصافيرٌ يُنفُضنَ عن
الريش بقايا القطْرِ أضغاثَ النباتات
هباءَ الذَّرِّ والغُبشَةَ، يُسلمْنَ المناقيرَ
إلي دفءِ الجناحين

النهارُ التمَّ في أعْضائِهِ واصّاعَدتْ شَيبْتُه من
تحت حنّاءِ الذُّرَى،
الصخرةُ تَأْوي للنعاس الرَّطب والهوَّةُ تثَّاءَبُ
والقريةُ جَرْوٌ مرحٌ لاذَ به النومُ البعيدْ

رجلٌ، وامرأةٌ تفتح في عُرْوَة ثوبِيْها الشَّفيفيْن
بخورًا، ولُبانًا زاكيًا، تفتحُ في الطَّوْق هلالاً
خَفْقَ نهدين، حفيفَ المخْمل الناعم بالحُلْمةِ،
والمرأةُ تمشي خضرةً معتمةً في
هوْدَجِ الليل ويمشي الرجلُ النائمُ يقظانَ،
يدان انفتحتْ بينهما عَشْرُ عيونٍ يتواشَجْن مياهًا
وارْتعاشًا ودمًا تصهل فيه الخضرةُ الدافئةُ
القمحُ ربّا للركبتينْ، اخْضرَّت الطينةُ،

أوراقُ الشفاه اصَّاعدتْ عُلَيْقةً عطشى،
اقترابٌ، قُبلةٌ توشِكُ..
عُقْدُ الكَهْرمانِ اسّاقطتْ حَبَّاتُه وانتثرتْ
تومِضُ ما بينَ النَّجيل الغضِّ تهوي
ظلمةً لامعةً بينَ الشقوقِ
انفتحتْ ذاكرةُ الطير، جناحٌ دافئٌ ينْبتُ ما
بينَ الحواسِّ الخمس، عشٌّ لِجثوم الهدْأةِ
الخالقة الأرضُ وإغراءُ الشقوقِ السنبلُ،
الذاكرة انْصَبَّتْ بما تحمل من إرثٍ وليلٍ
ذَوبانِ الخلق في الخلقِ انشطارِ الخلقِ
في أعضائه
أقعتْ وأقْعي

عَيِّنًا يلتقطان الكهرمانَ
اشْتبك الماءُ بلحم الأرض في
عشرِ لغاتٍ حيَّةِ العُنّابِ
قمحٌ تنْطوي أعوادُه الهَشَّةُ، قشٌّ، وبَشاشاتٌ
تكسَّرنَ، وعرْشًا يُفسِحُ الهيشُ،
اشْرأبَّتْ بهجةُ الجوقةِ بالعشبِ
الأناشيدُ تناوَشْنَ
السماءُ اتسعتْ
والأنجمُ ازْدانتْ بما يرسمه الكحلُ عليها
ازدهرتْ عُلَّيقةُ القبلةِ،
صلْصالٌ - له النعمةُ والمجدُ - ارتوى،
تحت اللسان احتشدَ الطيرُ وكعكُ الأقرباءِ

السُّكرُ الذائبُ في ماء الشَّعيرِ،
احتشدتْ في نكْهة الحلم حروفُ المدِّ والقصْرِ
وصلصالٌ - له النعمةُ والمجدُ - علي يابسة
العَرش وقوْس الأفْق والماءِ استوى

(يفتحُ جَبروتُ الصخر مسالكَه
والحجارةُ تخرُّ صَعِقَةً
فهل لامسَتْها شفافيةُ اكْتساءِ العظام باللحم
أم تتنزَّلُ الدهشةُ من سمواتها العلى
في صيحة كالصاعقة المرسلة!!
الجسدان ينبعان وتتسعُ بهما حدودُ الأرض
ويزَّحزَحُ الأفق
حنانٌ كأنه الخوف

ورحمةٌ كأنها جيوشُ الشجر وخيولُ
القرابة الصاهلة في ذاكرة المسافر

جسدان هما الأرضُ بما رحبَتّ
وأرضٌ هي المسافةُ المقدَّسةُ بين
العبارة والعبارة
إقامةٌ في القول هي السَّفرُ على
أطّواف الذاكرة العالقةِ بجريان النهر
ودوَران الريح
والمندفعةِ بين جُزر الرغبة القاسية في
أن يُكّتشفَ المكّتشفَ
وفي الامتلاء بالجرأة المتوهّجة على قولِ
ما قيلَ مجدَّدا

وضَرْبِ الخيمةِ في متردَّمِ القصيدةِ
وباديةِ الحداء..)

نجمةُ الصبح علي وَشْكِ الطلوع/ بين ماءَين،
السحابُ الأصهَبُ الأشْهبُ أقدامٌ من
السعي الهيوليّ علي وجه المياه/ خطوةٌ
هائلةُ الوجْهةِ
ماءٌ كلُّ شيءٍ
كلُّ شيءٍ ليس ماءً،
جسدُ الأرض فتوقٌ رخْوةٌ ينهمر السعيُ
الهيوليُّ عليها بالسحاب الأشهب الأصهب،
قطعانٌ توالي سَيرها المحتشدَ الذائبَ في
غَرينها الريحُ علي وجه المياه/ وجهةٌ هائلةُ الخطوة:

كانت رقصةُ الريح دُوَارًا قُلّبا يربط
بين الأفق والطين،
فضاءاتُ الرماديِّ النسيجِ انفسحتْ
يعبُرها وهّجُ الإضاءاتِ،
أنارٌ أفرعٌ؟!
أم غابةٌ من كل زوجين؟!
وهل هذا الفضاءُ/ سيرةٌ للشجر المقبلِ،
مرمى لرشاقات النِّبالِ، الصيحةُ المَرسلةُ
الرَّجْع وإيذانٌ بوقتِ الفتْح؟! هل
هذا الفضاءُ/ قبةُ الرحمة بالخلق أم
الأمةُ قوسٌ ودمٌ ينزف من
أجْوازه مدًا وجَزْرًا، شهقةٌ

سوف تكون الشهداءَ؟!
أمةٌ مستورةٌ هذا الفضاءُ القبةُ؟!
الأرضُ الخلاءُ/ خطوةٌ في الفلَك
الدائرِ والنارُ المواقيتُ؟!
كلام تحته تَذَّاوبُ الأنجمُ والشمسُ
وأمْداءُ الجلاميدِ ولا يحمله غيرُ القصيدة؟!

رجلٌ، وامرأةٌ تفتح في الطَّوْق هلالَ الوجع
الأخضر، في عُرْوة ثوبيْها الشفيفين الرضاعاتِ
بَخُورَ اللبن الحيِّ حفيفَ المخْمل الناعم بالإرث
وبالوارث
تمشي خضرةً مثقلةَ الخطوة بالوقت وتنْأي
وهو يمشي مثْقَل الوقتِ بفوضي الاحتمالات

اشتباكِ الموتِ بالقافية الصعبة والماءِ

وينأى

والمدي بينهما متَّسعُ الفقْر اكتمالاتُ التواريخ

المدى أسئلةُ الأهل الذين ابتدءُوا

ثم انتَهَوا كي يبدءُوا

هل أحدٌ يعرفُهم فيه وهل من أحدٍ يعرفه فيهم

وهل من أحدٍ يسمع ماءً نازفًا في

طبقات الذاكرة

ليس ماءً كلُّ شيء

كلُّ شيءٍ نبْعُ ماءْ..

١٩٧٧/١٠/١٤

أولُ الحلم آخِرُ الحلم

زرقةُ الشمس، احمرارُ الأفق الأخضر، بحرٌ

من زجاج الليلِ

ـ : من أنتَ، وماذا يكتبُ البرقُ علي

وجه القراءات!!

انتظرْ

حجرٌ يفتح بيتًا ودمٌ تأخذه الرِّعدةُ

أهدابي عليها من رماد المطرِ الغامضِ

ثلجٌ من يدي اسّاقَطَ

ـ : هل يَزَّحْزِحُ الأفْق إذا انْطَلَقتِ الرِّعدةُ

أحجارَك، هل من قدميْكَ امتدَّ نسلٌ وسبيلْ؟!

حجرٌ يُصفي

وفي الصمت الثقيلْ

يكتب البرقُ علي هام النخيلْ

حجرٌ يُصفي..

وريحٌ صَرْصرٌ تَقْلبُ جفنَ الأفْق،

هذي صُرَّةُ الأسماء ملأى باشتباك

الشَّبقَ الخالقِ بالموتِ،

صريرُ الدَّبق الدافئ يعلو،

غَليانٌ طالعٌ

تتْعقدُ الغيمةُ

بحرٌ من زجاج الليل ينشقُّ وبابُ السفرِ

الصعبِ النبيلْ

تفتح الرعدةُ مصرّاعيْه

ـ : ثلجٌ أم دمٌ يغْلي!!

انتظرْ

شهقةٌ للموت تعلو أم صهيلٌ
أم هما ضربةُ برقٍ طائرٍ!!
فلْتنتظرْ
(يَمْرجُ ماءُ الظلمة الحي
فما سؤالكُ عن ثلج الجمَد وأنتَ مقيمٌ
في عرْش الجمرةِ الحيَّة،
وما سؤالُك عن النار وأنتَ يَقظانُ
النومِ في إجابات الجمَدْ!!

وأوقفني،
أقْراني أني الجمعُ بينهما والخروج منهما
ثم أقراني أني علمُ أسئلةِ النوم).
حجرٌ يسكنه البحرُ وبحرٌ من زجاج الليل

كانا يُصغيانْ

ـ : هل بلادٌ هذه الخطوةُ في البحر، كتابٌ

هذه الريحُ، الحجرُ/

أمةٌ من أمم الماء الذي يُمرج في القاعِ!!

انتظرْ

حمأ رخْوٌ ودفءٌ يابسٌ هذا الغِراءُ اللَّزجُ السائلُ

كالدهن المخاطيِّ وهذا العفن المزْهرُ لحمٌ ناغلٌ

رجرجةُ الدفءِ الظلاميِّ انزلاقٌ مرعبُ المسِّ

ملاساتُ صديدٍ رغوةٌ معتمةٌ في جثةٍ تحت

جحيم الشمس هذي غابةٌ من عطن الجيفة لحمٌ

زنخُ الزُّهْمةِ هل هذا سِفادٌ من طقوس الأرض

والبحرِ سفادٌ في زجاج الليل إذ يسكُنه البحر!!

انتظرْ،

واقرأ خيوطَ العلَقِ الدافئِ واسمعْ

لستُ بالقارئ، أغفو في كوابيس الكتابات

انتظرْ.. واحملْ على كفِّكَ شمسًا للقراءة

(تغسلُ الشمسُ أقدامَها في عينِ حَمئةٍ

هذا وضوؤها قبل قراءة الفضاءِ والبسيطةِ

والقراءةُ نارُها الدائمة).

حجرٌ يفتح لي بيتَ الفضاءْ

رعدتي تسكنه دفئًا ونجمًا لِقرى الضيفِ،

دمي يكسرُ أغلالَ الحواسِّ الخمسِ

يعطيها خُطي العشب وقاماتِ الشجَر

فوق أهدابي الطويلات رمادُ المطر الغامضِ يمحو

رؤيةً يكتبُ نهرًا من مَرَائي الأرض والبحر،
صراخٌ أخضرٌ يطلعُ من قلبي هدوءًا رحمةً عاليةً
يلبسها الطيرُ،
السمواتُ تباعدْن تكشَّفْن، الكلام/
أممٌ من صُرَّة الأسماءِ والأسماءُ ملأى
باشتباك الشبقِ الخالقِ بالموتِ. الكلام/
أرأيت الفقراء المقبلين
من دم البحر وطَمْث العلق الدافيء؟!

فاسجدْ
ترابُ الينابيع يحمل
تاريخَها وصليل مَجازاتها،
مُدُنٌ تركتْ صوتَها وهْيَ
تُولدُ، والريحُ كانت قِماطَ
البدايةِ رفرفةَ الحلم في
راية الكلمات المضيئة،
يحملُ ما تركتْه استعاراتُها
فسحةً لاندهاش القراءات
والفتحِ مملوءةً بالقباب
البريدِ المسافرِ..
فاسجدْ

واقتربْ
إنه الطبقاتُ من الورَق
الإنحناءُ المفاجئُ في النقش
نمنمةٌ ليس تكرارُها غير أنَّ
القبائل تزرع أنسابَها الملكيةَ
في الوشْم، أنَّ الذي
جاءَ يأتي..
اقتربْ..
وألْقِ دلاءَك
لا تُلْقِها بين أيِّ الدلاء،
اقتربْ سفرًا، إنها
الطبقاتُ من الورق
انكسرَ النقْش منتشرًا
في فضاءِ اكتمالاتهِ

لوجهكَ غربةُ هذا الترابِ،
لعينيك برْقُ البساتين في
آخر الأفْق والأرضِ.
هل أمةٌ تتنفّس ما بين
وجهكَ والأرضِ؟!
هذا ترابُ الينابيع..
هذا صهيلُ مجازاته
مدنٌ تتفتَّح فيها القراءاتُ
تعلو السمواتُ
بيتُ الفضاء انفساحُ القراءةِ
للشمس والشمسُ تكتب
وقتًا وتمحو وتثْبتُ
تهْوي وتعلو المدائنُ ما
بين وقتٍ ووقتٍ
وتهوي وتعلو.

طبقاتٌ من الورق
انكسرتْ والعيونُ تفتَّحُ،
ألْقِ دلاءكَ بين الدلاء،
اغتسلْ، لم يحاصرْكَ غيرُك،
فاخرجْ عليهم لتدخل أحلامَهم
فالقبائلُ وقتُكَ
هذي هي الطبقاتُ من
الورق انكسرتْ والعيونُ
تفَجَّرنَ تحت قراءةِ قلبكَ

وقتٌ هو السلَّمُ الدائريُّ
المرابطُ بين الكلام
وبين الكلام الخطي يَتَفتَّحنَ،
قل،
واقتربْ،

لوجهكَ هذا الترابُ
المباغتُ.
ما بين وجهك والأرضِ
حلمٌ لوجهكَ والأرضِ
فَاسجدْ
هل تراهم يسجدون الآن في رقصة عشق دموي؟!
إنهم يقتربون
فاقرأ الماء انتماءَ الشجر الأخضر للفقر الصريح
وانتسب للشجر الأخضر والفقر الصريح.
إنهم يقتربون الآن..
فاسجد واقترب..

١٩٧٧/٥/٧

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٧٥٥/ ٢٠٠٤

I.S.B.N.977 - 01 - 9171- X

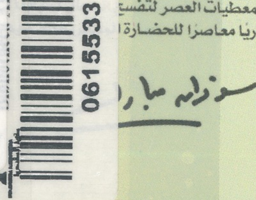
مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاءت بنور المعرفة جنبات البيت المصرى بأكثر من ٨٠مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفى عبر السنوات العشره الماضية لتلهب فى تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البداية أن المعرفة هى سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفوق فيه المعرفة على ... والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلومات و... كل وسائل الإتصال ولم يكن منطقيا أن نقف مكتوفى الأيدى.. فكانت مكتبة الأسرة بكل ... أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد، عصر المعرفة وإنا لنتطلع فى الأعوام القادمة ... الأسرة ثمارها اليانعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر لتفسح ... يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لنكون امتدادا حضاريا معاصرا للحضارة ... التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

سوزان مبارك





السعر ١٥٠ قرشاً